الملاحظات

نزل "لوح مدينة التوحيد" في حق الشيخ سلمان، أحد أتباع حضرة بهاءالله الأوفياء من قرية هنديان في جنوب غرب بلاد فارس، وكان في الأصل يدعى الشيخ خنجر، إلا أن حضرة بهاءالله أسماه سلمان تشبيها بأحد صحابة الرسول الكريم وهو "روزبه الفارسي" الذي أكنّ له الرسول محبة عظيمة وأعطاه اسم "سلمان".

أمضى حضرة بهاءالله أربعين عاما من ولايته في المنفى بعيدا عن وطنه حيث يقيم أغلب أتباعه، فاستدعت الضرورة فتح قناة من الاتصال لنقل رسائله وألواحه إلى أحبائه. وغالبا ما كان يأتمن أحباءه الزائرين في محضره لإيصال بعض ألواحه لأصحابها حين العودة، إلا أن مثل هذا العمل لم يكن سهل التنفيذ دائما لأن أعداء الأمر كانوا يقظين داخل الوطن الفارسي والدول المجاورة فينشرون عيونهم على الحدود الفارسية وداخل البلاد ويصادرون كل ما يتعلق بالأمر الكريم.

قام الشيخ سلمان بدور رئيسي في نقل ألواح حضرة بهاءالله إلى الأحباء في بلاد فارس وأصبح مشهورا بينهم بـ"رسول الرحمن" وهو لقب أسبغه عليه حضرة بهاءالله مخلدا إياه في صفحات التاريخ. وكان أول مبعوث يصل العراق بعد ورود حضرة بهاءالله إليه بوقت قصير، ومنذ ذلك الوقت وخلال أربعين عاما حتى نهاية ولاية حضرة بهاءالله دأب على حمل الألواح إلى المؤمنين في الديار الفارسية، وحاملا رسائلهم إليه حين العودة. وفي كل عام كان يزور مولاه قاطعا آلاف الأميال مشيا على الأقدام في أغلب الأحيان. لم يكن له مستقر خلال تلك السنين بل كان دائم التنقل من مدينة إلى أخرى لمقابلة الأحباء وتسليمهم الرسائل وتزويدهم بأخبار محبوبهم. وبعد صعود حضرة بهاءالله استمر في هذه الرحلات لعدة أعوام في خدمة حضرة عبدالبهاء وفي كل سفراته سلك طريق الحكمة والحذر بحيث لم يقع في أيدي الأعداء أي من الألواح المباركة التي حملها.

كانت لدى الشيخ سلمان قدرة جسدية على التحمل هائلة، فقد تعرض للتعذيب القاسي خلال رحلاته عدة مرات، تحمّلها جميعها بقوة إيمانه بغاية الثبات والتسليم. عاش فقيرا، وكان طعامه اليومي بسيطا يقتصر في الغالب على رغيف من الخبز والبصل النيئ. كان أميا، إلا أن المعرفة الإلهية كانت هبة له من حضرة بهاءالله. وبفضل هذه الموهبة تمكن من الوصول إلى إدراك أعمق لحقائق الأمر الإلهي ورؤية صافية لعوالم الروح.

كان الأحباء الذين يرغبون في التشرف بالمحضر الأنور يحصلون على إذن من حضرة بهاءالله نفسه، وفي هذا كان يعتمد كثيرا على سداد رأي الشيخ سلمان حتى أنه أوكل إليه في بعض الأوقات صلاحية منح الإذن بالنيابة عنه لمن طلب شرف الزيارة.

تطالعنا في سيرة حياة الشيخ سلمان نوادر كثيرة ترسم لنا صورة حية عن طبيعته البسيطة وبصيرته النافذة وحكمته ولباقته في مجابهة المخاطر والصعاب، وفوق هذا كله نلمس إيمانه العميق بحضرة بهاءالله. وفي مذكرات الحاج محمد طاهر المالميري نجد حادثة شيقة تخبرنا عن سداد رأي الشيخ سلمان وعمق إدراكه.

تشرف الحاج محمد طاهر المالميري -الذي ورد ذكره في فصل سابق- بحضور حضرة بهاءالله في عكاء حوالي عام ١٨٧٨م، ثم عاد إلى فارس برفقة الشيخ سلمان. وفي مذكراته وصف لرحلتهما إلى شيراز حيث نقرأ:

قبل وصولنا شيراز، وفي قرية زرقان، أرسل الشيخ سلمان رسالة إلى الحاج السيد إسماعيل الأزغندي -وهو بهائي- يرجوه القدوم لملاقاتنا خارج المدينة، ذلك لأنه كان يحمل معه عددا من الألواح المباركة وبعض الآثار البهائية الأخرى حتى

يحملها الحاج معه إلى شيراز، لأن كل مسافر ضمن القافلة كان يتم تفتيشه حين دخول المدينة.

وتلبية لهذا الرجاء قدم الحاج السيد إسماعيل إلى زرقان راكبا حماره، وتسلم الألواح المباركة والآثار الأخرى وأخذها إلى شيراز. وبعد إجراء التفتيش في نقطة العبور توجهنا مباشرة إلى منزله في شيراز. اعتاد مضيفنا أن يقضي معظم وقته مع مشير المُلك الذي استقال مؤخرا من منصبه الحكومي وخلفه فيه ابن أخيه، ومن عادة مشير الملك هذا أن يقضي معظم أيامه في منزله الريفي حيث انجذب للأمر الإلهي بواسطة بستاني بهائي يعمل عنده.

وبعد إيمانه بالأمر المبارك انتدب مشير الملك صديقه الحاج السيد إسماعيل للتشرف بمحضر حضرة بهاءالله لينوب عنه في تقديم ألف تومان ومحفظة أقلام ثمينة[٢] هدية منه، فنالت المحفظة عناية حضرة بهاءالله بالموافقة إلا أنه أهدى المال لحامله، وأنزل لوحا لمشير الملك حمله له الشيخ سلمان إلى شيراز وسلمه إياه صديقه الحاج السيد إسماعيل.

وعندما سمع مشير الملك بوجود الشيخ سلمان في شيراز، أبدى رغبته في مقابلته وطلب من صديقه إحضار الشيخ إلى منزله في اليوم التالي، إلا أن الشيخ سلمان

لم يرغب في المقابلة فرفض الدعوة متعللا بضيق الوقت لأنه على عجلة من أمره لمغادرة شيراز، وعندما علم مشير الملك بجواب الشيخ هذا، ولشوقه الشديد لهذه المقابلة، قال:

"بما أن الشيخ سلمان يود الرحيل بهذه السرعة فسأذهب إلى مكان إقامته في الصباح". وبمجرد أن نقلت هذه الرسالة للشيخ سلمان استدار نحوي وقال: "لنجمع أمتعتنا ونترك هذا المكان". وبالفعل تركنا منزل الحاج السيد إسماعيل وأقمنا في خان بالمدينة.

لم يستطع الحاج السيد إسماعيل إدراك سر رفض الشيخ سلمان مقابلة مشير الملك وعندما رجاه الرجوع عن قراره أجابه: "إذا قابلني مشير الملك فلسوف يفقد إيمانه ويترك هذا الدين"، ولما ضغطت عليه لمعرفة الأسباب قال: "لقد سمع مشير الملك كثيرا من الروايات والأحاديث عن سلمان الفارسي، منها القصة الخيالية التي تقول بأن النار ليس لها تأثير على قدمي سلمان الفارسي، وأنه كان يضع قدميه في المدفأة بدل الحطب لتسخين الطعام، ولا شك أن مشير الملك يتوقع رؤية مشاهد كهذه تصدر عني، أو ربما يعتقد أن لي وجها مشرقا جميلا كالملائكة، وعندما يرى وجهي القبيح ومظهري الخشن سيترك الدين حتما". وفيما

بعد ذكرت هذه القصة بمحضر حضرة بهاءالله الذي أكد بأن الشيخ سلمان كان محقا في شعوره وأن مشير الملك كان سيترك الدين لو تمت المقابلة.

اكتسب الشيخ سلمان بصيرة ثاقبة ساعدته على فهم آثار حضرة بهاءالله جاءت نتيجة معاشرته الطويلة للأحباء ومعرفته الدقيقة بروح الأمر، ومثال ذلك ما رواه الحاج محمد طاهر أنه أثناء رحلتهما معا إلى شيراز كان الشيخ سلمان يحمل عددا من الألواح المباركة لتوزيعها على الأحباء في بلاد فارس، إلا أن أيا منها لم يحمل اسم صاحبه، ربما لحمايته، وكان الشيخ بمجرد وصوله إلى مكان آمن خلال الرحلة يخرجها ويطلب من الحاج محمد طاهر تلاوتها لأنه كان أميا، فمن مضمونها ولحن القول كان يعرف المقصود بها فيطلب من الحاج كتابة الأسماء عليها.

تلك الوقائع وكثير غيرها في حياة الشيخ سلمان تبرهن على طهارة قلبه وصفاء رؤيته، ومع أنه كان أميا، فقد وهب إدراكا عميقا للحقائق الروحية والأسرار الإلهية وصار عملاقا من عمالقة الدورة البهائية الروحانيين.

أنزل حضرة بهاءالله عدة ألواح في حق الشيخ سلمان تعالج معظمها مواضيع هامة وعميقة. وما "لوح مدينة التوحيد" إلا مثال عليها، إذ نزل باللغة العربية، وموضوعه الأساسي وحدانية الله، الذي التمس الشيخ شرحه، وقد أكد حضرة بهاءالله على أن وحدانية الله لها مظاهر لا عد لها ولا حصر، ومعظمها فوق إدراك البشر.

إلا أن وصف حضرة بهاءالله لـ"ذات الله" على أنه اللامثال ولا يمكن الوصول إليه أو إدراكه، وأنه القدير على كل شيء، والمستغني عن كل شيء، مشابه لما ورد في ألواح أخرى، والكلمات التالية لحضرته، التي يناجي فيها ربه ويمجد خالقه، هي مثال على ذلك:

"سبحانك سبحانك يا محبوبي من أن تعرف بأعلى عرفان الموجودات، سبحانك سبحانك من أن توصف بأبهى وصف الممكنات، لأن منتهى عرفان العباد في منتهى ذروة القصوى لن يقدر أن يصعد عن حد الإنشاء، ولن يمكن أن يتعارج عن شأن الإمكان وبما قدر له من شؤون القضاء، فكيف يقدر ما خلق بمشية الإمكانية في رتبة الإمكان أن يصعد إلى هواء قدس عرفانك أو يصل إلى مقر عز اقتدارك، سبحانك سبحانك من أن يطير الفاني إلى عرش بقائك أو يصل الفقير إلى ذروة استغنائك، لم تزل واصف نفسك لنفسك بنفسك وناعت ذاتك لذاتك بذاتك، فوعزتك يا محبوبي لم يكن غيرك مذكورا حتى يعرفك ولا دونك

موجودا ليذكرك، أنت الذي لم تزل كنت في ملكك بظهور عز وحدانيتك وطلوع قدس كبريائيتك، ولو يذكر في ممالك الإنشاء من أعلى نقطة البقاء إلى منتهى رتبة الثرى أحد دونك كيف يثبت استوائك على عرش فردانيتك ويعلو بدائع ذكرك في كلمة توحيدك ووحدانيتك، وأشهد حينئذ بما شهدت به لنفسك قبل خلق السموات والأرض، بأنك أنت الله لا إله إلا أنت لم تزل كنت قادرا بمظاهر قدرتك لآيات قدرتك وعالما بمطالع علمك بكلمات علمك، ولم يكن دونك من شيء ليذكر تلقاء مدين توحيدك ولا غيرك من أحد حتى يوصف في ساحة قدس تفريدك"

وكذلك يتفضل:

"سبحانك يا إلهي أشهد بأن كل ذكر بديع منع عن الارتقاء إلى سماء عرفانك وكل ثناء جميل منع عن الصعود إلى هواء علمك، لم تزل كنت مقدسا عما عند عبادك ومنزها عن وصف أرقائك، ما شأن العدم ليذكر تلقاء القدم، أشهد بأن توحيد الموحدين ومنتهى ذكر العارفين يرجع إلى مقر الذي خلق من قلم أمرك وذوت بإرادتك، فوعزتك يا محبوب البهاء وخالق البهاء لا يرى البهاء لنفسه إلا العجز عن ذكرك وثنائك على ما ينبغي لعظمتك وإجلالك، لما كان الأمر كذلك أسئلك برحمتك التي سبقت الكائنات وفضلك الذي أحاط الممكنات بأن تقبل

من عبادك ما يظهر منهم في سبيلك، ثم أيدهم على إعلاء كلمتك، وانتشار ذكرك إنك أنت المقتدر على ما تشاء لا إله إلا أنت العزيز الحكيم."

وفي العديد من ألواحه ومناجاته أعلن حضرة بهاءالله وجود الله، واصفا كمالاته، معظّما جوهره، ومن مآثر حضرته في المعارف الدينية أن أظهر للإنسان في هذا العصر، وعلى قدر استعداده، حقيقة الطبيعة الإلهية كاشفا عن بعض أسرار الخليقة مزيلا كثيرا من الأفكار الخاطئة والنظريات التي ابتدعها الإنسان عن خالقه تعالى.

يتحدث حضرة بهاءالله في "لوح مدينة التوحيد" عن المظهر الإلهي ويوضح أنه بسبب استحالة إدراك الإنسان لجوهر الله فقد أرسل رسله ومختاريه بفضله وعنايته وأظهر بواسطتهم كافة صفاته، لذا فإن معرفتهم هي معرفة الله، وطاعتهم هي طاعة له، وأن أقصى ما يمكن للإنسان معرفته عن الله هو عرفان مظهر نفسه.

وفي أحد ألواحه يشبه حضرة بهاءالله المظهر الإلهي بالمرآة التي تعكس الشمس. فالمرآة طبيعتها مادية إلا أنها عاكسة لنور الشمس. وكذا الأمر في المظهر الإلهي الذي يعكس جميع الصفات الإلهية مع أنه من عنصر الإنسان. وهناك الإشارات العديدة في آثار حضرة بهاءالله وحضرة الباب والكتب المقدسة الأخرى إلى أسماء الله وصفاته التي تتجلى في هذه الخليقة.

هناك دعاء لطيف عادة ما يردده أهل المذهب الشيعي خلال شهر رمضان، وهو ابتهال إلى الله بأسمائه الحسنى ويتألف من تسعة عشر ابتهالا يدور كل واحد حول أحدها ويبتدئ بالبهاء، وقد أخذ حضرة الباب هذه الأسماء بترتيبها وأطلقها على الشهور التسعة عشر في التقويم البياني وكل شهر من تسعة عشر يوما وهو أساس التقويم البديع للدورة البهائية.

وفي أحد الأحاديث الإسلامية المعروفة ورد أن اسم الله الأعظم هو أحد الأسماء التسعة عشر، وقد فشل كثير من الفقهاء في حل هذا اللغز، إلا أنه في أواخر القرن السادس عشر للميلاد أعلن عالم معروف أن اسم الله الأعظم هو "بهاء"، وبعدها أطلق العالم على نفسه اسم "الشيخ بهائي". وقد ولد في لبنان عام **٩٥٣**هـ وارتحل في صباه إلى بلاد فارس حيث تلقى علومه ثم ارتقى إلى أن وصل بلاط الشاه عباس ونال مقاما رفيعا لإنجازاته في الفنون والعلوم والفقه.

أكد حضرة بهاءالله أن المراد بالاسم الأعظم هو "بهاء" وأن كل اشتقاق من الكلمة باللغة العربية يعد اسما أعظما أيضا، وقد مجد حضرة الباب اسم البهاء مشيرا إلى الاسم بكل جلال في آثاره، لأنه كان عليما بمقام حضرة بهاءالله مظهرا كليا إلهيا. فقد قام حضرة الباب مثلا، بكتابة ثلاثمائة وستين اشتقاقا من كلمة "بهاء" على لفافة

من الورق على شكل نجم خماسي وأرسلها قبل استشهاده إلى حضرة بهاءالله مصحوبة بأختامه وبعض الوثائق والألواح الأخرى.

ويذكر حضرة بهاءالله في "لوح مدينة التوحيد" أنه وإن كانت صفات الله كثيرة جدا فإن سبحانه وتعالى في عالمه مقدس عن كافة الصفات ومنزه عن سائر الأسماء، وإن نعته بصفة مرده إلى التحديد، فلا سبيل للتعدد في ملكوت الله، فذاته وصفاته واحد لا يتجزأ أو يختلف. إن تعدد الصفات من لوازم عوالم المظاهر الإلهية حيث تظهر من هذه النفوس المقدسة صفات عدة كالمحبة والعلم والقدرة والسلطنة.

ويؤكد في هذا اللوح أن الله سبحانه وتعالى يرسل مظاهره إلى عالم خلقه بمحض فضله ليكشف لهم تعاليمه ويحثهم على اتباع الصراط المستقيم. ولكن الإنسان في حياته الدنيا منح حرية الاختيار، فإما أن يتبع طريق الحقيقة أو أن يهيم في بيداء النفس والهوى، وأيّا كان الاختيار فإن الله يعين عبده من خلال عدله، ومن غير الإنصاف للحق أن يقسر عباده فيجبرهم على تغيير مسلكهم، وتلك آية تبين العلاقة بيت صفتي الله: الفضل والعدل.

ثم يأتي إلى شرح وحدانية الله وأنه لا إله إلا هو، وقد تعبده أجناس مختلفة بطرق متباينة، إلا أن كلماتهم طالما كانت طاهرة فإنها تصعد إلى عتبة قدسه وتلقى القبول لديه.

وفي حديثه عن مظاهر الله يؤكد حضرة بهاءالله على توحدهم دون أي اختلاف لأنهم يظهرون الكمالات نفسها حيث يتفضل بهذه الكلمات التامات في "لوح مدينة التوحيد":

"إياكم يا ملأ التوحيد لا تفرقوا في مظاهر أمر الله ولا فيما نزل عليهم من الآيات وهذا حق التوحيد إن أنتم لمن الموقنين وكذلك في أفعالهم وأعمالهم وكلما ظهر من عندهم ويظهر من لدنهم كل من عند الله وكل بأمره عاملين ومن فرق بينهم وبين كلماتهم وما نزل عليهم أو في أحوالهم وأفعالهم في أقل مما يحصى لقد أشرك بالله وآياته وبرسله وكان من المشركين."

ويبين حضرته في هذا اللوح أيضا أنه وإن كان لا يوجد اختلاف جوهري بين مظاهر أمره، إلا أنهم يتفاوتون في شدة التجلي الإلهي، وإلى هذا يعزى تفضيل بعضهم على بعض درجات. ثم يتحدث عن سمو مقام حضرة الباب وينعته بـ**"النقطة التي تدور حولها أرواح النبيين والمرسلين"** ومع أن حضرة بهاءالله لم يكن قد أعلن

دعوته بعد، إلا أنه يشير إلى ظهوره بأنه **"يوم الله"** عندما تفتح أبواب الرضوان أمام جميع البشر، فذلك اليوم نهار لن يعقبه ليل، ويوم يشاهد الإنسان فيه وجه الله نفسه.

كتاب ظهور حضرة بهاءالله، أديب طاهرزاده، المجلد 1